نـــهـــايـــة الـــعـــام

إعداد
زاهـر بن مـحـمـد الـشـهـري
إمام وخطيب جامع عائشة_ رضي الله عنها_ بالخبر

الحمد لله خــالق الأكــوان، ومقلب الــدهور والأزمـــان، أحمـــده ســـبحانه وأشـــكره، فحق للمنعم أن يشكر بكل لسان، وأشــهد أن لا إله

إلا الله وحــده لا شــريك له شــهادة أرجو بها الــدرجات العلا من الجنــان، وأشــهد أن نبينا وحبيبنا وســـيدنا محمـــدًا عبد الله ورســـوله المصـطفى بالرسـالة والتكـريم على الثقلين الإنس والجـــان، صـــلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سـار على النهج واقتفى الخطى بإحسان.

أما بعد: فـاتقوا الله ــ عبـاد الله ــ على كل حال وفي كل مكان، أمركم بذلكم ربكم بقوله :)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِـهِ وَلا تَمُــوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْــلِمُونَ) "آل عمــران: 102"

عباد الله : ألم تروا إلى هذه الشمس كل يـوم تطلع من مشـــرقها وتغـــرب في مغربهـــا. ألم تــروا إلى هــذه الشــهور تهل فيها الأهلة صغيرة كما يولد الأطفال ثم تنمو رويدًا رويدًا كما تنمو الأجســام حــتى إذا تكامل نموهــا؛ أخذت بـالنقص والاضـمحلال، وفي ذلك أعظم الاعتبار فهو إيذان بأن هذه الدنيا ليست بــدار قرار،

وهكذا عمر الإنسان فاعتبروا يا أولي الأبصار .

ألم تروا إلى هذه الأعوام تتجدد عامًا بعد عام فإذا دخل العام الجديد نظر الإنسان إلى آخره نظر البعيد؛ ثم تمر به الأيام سراعًا فينصرم العام كلمح البصر فإذا هو في آخر العام،

وهكذا عمر الإنسان يتطلع إلى آخره تطلع البعيد فإذا به قد هجم عليه الموت)وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ(

ربما يؤمل الإنسان بطول العمر ويتسلى بالأماني فإذا بحبل الأمل قد انصرم وببناء الأماني قد انهدم.

عبد اللـه، هل تعلم أنك أمضـيت في هـذا العام الماضي الـذي أوشك على الرحيل أكـثر من ثلاثمائة وستين يومًا؟ أي: أكـثر من ثمانية آلاف ســاعة، وما يزيد على خمســمائة ألف دقيقة.

كم ـ بربك ـ من هذا الـوقت قضـيته في لهو مباح، ناهيك عن غير المباح؟! وكم قضيته في

تراخ وكسل ونوم واسترخاء ودنيا محضة؟! ثم كم تبقى منها لله ورسوله ﷺ؟!

عبد اللــه، هل تعلم أن قلبك قد نبض في العـــام المنصـــرم نحو أربعين مليـــون نبضة بانتظـــام لا مثيل له ودقة متناهيـــة؟ فمن ذا الذي صانه؟!

ومن ذا الذي حفظه حتى أدى تلك المهمة؟! إنه اللــه، فهل تضـــمن أن تـــؤدى المهمة في العام القادم بنفس الكفــاءة والأداء أم أنه قد يتوقف وتتوقف معه الحيـــاة؟! فهل أعـــددت للحظة التوقف تلك آخر لحظة في حياتك والتي قد تكون في أي لحظة؟!

عبد اللــه، هل تعلم أنك قد شـــهقت في العـام المنتهي نحو أحد عشر مليـون شـهقة،

وزفرت مثلها, في كل واحـدة منها أخـذت من الهواء أوكسيجينه النافع الذي أودعه الله فيه، وأخــرجت إليه كل ضــار، ولم يتوقف التنفس لحظة واحـدة، ولم تضـطرب عملياته المنظمة الموقوتة، ولو حدث هذا لتوقف المخ والسمع والبصر والكلام والعلم، ثم قد يتوقف القلب وتنتهي الحياة.

فمن ذا الــذي منَّ عليك براحة التنفس بينما هناك الكثير يعاني من ضيق النفس؟! إنه الله المنعم المتفضل، فهل شكرت ــ يا عبد الله ــ تلك النعمة العظيمة؟! هل كانت تلك الأنفاس تتردد في صدرك وأنت على طاعة الله أم أنها كانت تتردد في صـدرك وأنت عيـاذًا بالله على معصية الله؟ هل كان يـدخل مع تلك الأنفـاس

عبير ذكر الله أم كان يـدخل معها نتن الـدخان وعفنه؟!

عبد اللــــه، لقد أكلت في هـــذا العـــام ما اشـــتهيت من الطعـــام، ولم يتوقف الجهـــاز الهضـــــمي ، ولم يعـــــترض على معاملتك له بقسوة، فهلاّ حمدت اللـه، وسـجدت له شـكرًا على هــذه النعم وهــذه الأجهــزة المســخرة لخدمتك بلا صيانة ولا توقف ولا كلل.

عبد الله، لقد حصـلت في هـذا العـام على آلاف الريـالات كـلّ حسب دخلـه، فبالله عليك كم ريـــالاً أنفقته في ســبيل الهــوى؟! وكم للشــهوات والملــذات؟! وكم إرضــاء للزوجة والأولاد؟! وكم لمسايرة متطلبات العصر؟! ثم كم أنفقت لله ؟! ليعُد كل منّا إلى بيتــــــــه،

وليمسك ورقــةً وقلمًــا، وليحســب، ثم لينظر النتيجة.

عبد اللــه، لن يبقى لك إلا ما أنفقته لله ، فهذا حبيبنا ورسولنا ﷺ يذبح شاة ويتصدقُ بها، ثم يســـأل زوجته في تربية بديعة لهـــا: ((ما بقي منهـا؟)) قـالت: ما بقي منها إلا كتفهـا، قال: ((بقي كلها غير كتفها)) رواه الترمذي.

فلله درّ الرعيل الأول الـــــذين فقهــــــوا قوله ﷺ فيما أخرجه الإمام مسـلم عن مطـرّف عن أبيه قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ (أَلْهَـاكُمُ التَّكَـاثُرُ) [التكـاثر:1] قـال: ((يقـول ابن آدم: مالي مالي))،

قـال: ((وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فـأفنيت أو لبست فـأبليت أو تصـدقت فأمضيت؟!))،

فـــادّخروا عند الله أكـــثر مما أنفقـــوا على ذواتهم وشـــــــهواتهم، فهـــــــذا أبو بكر الصـــــديق ينفق جميع مالــــه، وهــــذا الفاروق ينفق نصف مالـه، وهـذا عثمـان بن عفـــان يجهز جيش العســـرة، وأمثلة كثـــيرة خيّرة قدمت نماذج لذلك الفهم السديد.

عبد اللـه، لقد أطلّت عليك الشـمس هـذا العـــام أكـــثر من ثلاثمائة وخمســـين مـــرة، وحبيبـــك يقـــول فيما أخرجه الإمـــام مسـلم: ((يصـبح على كل سـلامى من أحـدكم صـدقةٌ، فكل تسـبيحةٍ صـدقةٌ، وكل تحميـدةٍ

صدقةٌ، وكل تهليلةٍ صدقةٌ، وكل تكبيرةٍ صدقةٌ، وأمرٌ بالمعروف صدقةٌ، ونهيٌ عن المنكر صدقةٌ، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى)) رواه مسلم.

إذًا عليك في هذا العام نحو مليون وثلاثمائة ألف صدقة، فهل أديت ووفّيت، أو سدّدت وقاربت، أو حتى عزمت ونويت؟! إن كنت كذلك فاحمد الله واسأله الثبات والمزيد، فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، وإن كانت الأخرى فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

عبد الله، لقد كان عليك في العام المنصرم ألف وثمانمائة صلاة فريضة، فكم ضيعت منها بعذر وغير عذر؟! وكم صليت منها في

المسجد في جماعة بخشوع وتدبر؟! وكم نقرتها على عجالة والبال مشغول؟!

عبد الله، إن الطمأنينة ركن لا تصح الصلاة إلا به، والله ينظر إليك في الصلاة، يسمعك ويجيبك، فإذا انصرفت عنه بقلبك أو بنظرك انصرف الله عنك.

عبد الله، هل قرأت القرآن في هذا العام بتدبر اثنتي عشرة مرة، في كل شهر مرة، أو على الأقل ست مرات في العام؟! إن لم تكن كذلك فنخشى أن تكون من الذين يشكوهم الحبيب ﷺ إلى مولاه يوم القيامة ويقول: (يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) [الفرقان:40].

عبد الله، هل وصلت رحمك؟! فمن وصلهم وصـــله اللـــه، ومن قطعهم قطعه اللـــه، هل قمت بـــبرّ والــديك؟! هل دعــوت لهمــا؟! هل تصـدّقت عليهما ومن أجلهمـا؟! هل بلغت عن رسول الله ولو آية؟!

هل كنت ممن ذكر الله على جميع حاله فتكـون ممن قـال الله فيهم: (الَّذِينَ يَـذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ) [آل عمران: 191]؟!

أيها المسلمون (اسْـتَجِيبُوا لِـرَبِّكُمْ مِنْ قَبْـلِ أَنْ يَــأْتِيَ يَــوْمٌ لا مَــرَدَّ لَــهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ) [الشورى:47].

بـــــارك الله لي ولكم في القـــــرآن العظيم، ونفعــني وإيــاكم بما فيه من الآيــات والــذكر

الحكيم، ونفعنا بهدي سـيد المرسـلين وبقوله القويم، أقـول قـولي هـذا، وأسـتغفر الله لي ولكم ولســــــائر المســــــلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً، وهو الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، خلق فسوى، وقدر فهدى، وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى. والصلاة والسلام على

الذي كان لظلام البشرية نوراً، ولمواتها حياة، ولجاهليتها هدى، ولضلالاتها رشاداً، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المسـلمون: إن الليـالي والأيـام خـزائن للأعمال ومراحل للأعمار، تبلي الجديد وتقرب البعيـد، أيـام تمر وأعـوام تتكـرر، وأجيـال تتعاقب على درب الآخرة،

فهذا مقبل وهذا مـدبر، وهـذا صـحيح، وهـذا سقيم والكل إلى الله يسير.

وقد أقسم سـبحانه بهـذا الـزمن الـذي منحه للخلق أن الإنسـان لفي خسر إلا من اتصف بأربعـة: الـذين آمنـوا، وعملـوا الصـالحات، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر، يقول تبارك

وتعـــــــالى: (والعصر * إن الإنســــــان لفي خسر * إلا الــذين آمنــوا وعملــوا الصــالحات وتواصــوا بــالحق وتواصــوا بالصــبر). هــذه السورة العظيمة يقول عنها الإمام الشافعي: لو لم ينزل سورة إلا هذه لكفتهم.

وقال تعالى:)إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)

وقال:)إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا

يَكْفُرُونَ)

وقال:)هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)

وقال:)إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ) .

إخواني: ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي وليست التوبة مجرد قول باللسان من غير تخلي إنما الإيمان ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال وإنما التوبة ندم على ما مضى من العيوب وإقلاع عما كان عليه من الذنوب وإنابة إلى الله بإصلاح العمل ومراقبة

علام الغيوب فحققوا أيها المسلمون الإيمان والتوبة فإنكم في زمن الإمكان.

وعظ النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً فقال: «اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك»

قطعتَ شهور العام لهوًا وغفلةً ****ولم تحـترم فيـما أتيت المحـرَّمـا

فلا رجبًا وافـيت فيه بحـقِّه ****ولا صمت شهرَ الصوم صومًا متمِّما

فهل لك أن تمحو الذنوب بعبرة ****وتبكي عليها حـسرة وتنـدُّما

وتستقبل العام الجديد بتوبـة ****لعلَّك أن تمحـو بها مـا تقـدَّما

تذكر دائما قول نبيك صلى الله عليه وسلم: ((خيركم من طال عمره وحسن

عمله))، وردد دائما دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: ((اللهم اجعل الحياة زيادة لي في كل خير، والموت راحة لي من كل شر))